ألفاظ الطّبْع والخُلُق في العربية: دراسة في الخلفية التصوّرية

الأستاذ: سالم سليمان الخماش
قسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز– جدة

– تمهيد:

1–1– تعريف الطبع والطبيعة:

عرّف الجرجاني الطبْع بأنه: "ما يقع على الإنسان بغير إرادة، وقيل الطبْع بالسكون الجِبِلّة التي خُلق عليها الإنسان [1]، وذكر التهانوي أنّ الطبْيعة هي "السجية التي جُبل الإنسان وطبع عليها، سواء صدرت عنها صفات نفسية أو لا، كالطِّباع، بالكسر، إذ الطِّباع ما ركب فينا من المطعم والمشرب وغير ذلك من الأخلاق التي لا تزايلنا، وكذا الغريزة هي الصفة الخلقية أي التي خلقت عليها كأنها غرزت فيها"[2]، وبيّن لالاند أن الطبع caractère في علم النفس "جملة كيفيات مألوفة في الشعور والاستجابة، تميز فردا من آخر (أو أحيانا تميز جماعة من أخرى: الطبع الفرنسي)"[3]. نستنتج من هذه التعريفات أن الطبع: صفات أساسية وأصيلة في تكوين الإنسان، وهي كالغريزة والسجية.

1–2 تعريف الخُلُق

الخُلُق، كما ورد في تعريفات الجرجاني، هو "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية"[4]، وفي رأي ابن عاشور: هو "السجية المتمكنة في النفس، باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر"[5]، وقد أوضح أنهلا "يُعرَف أحدُ النوعين من اللفظ إلا بقيد يُضم إليه فيُقال: خُلُق حسَن، ويقال في ضده: سوء خُلُق، أو خُلُق ذميم، فإذا أطلق عن التقييد انصرف إلى الخُلُق الحسن"[6]، وذكر أنّ اصطلاح الخُلق في عرف الحكماء: هو كيفية راسخة في النفس تصدر عنها أفعال صاحبها بدون روية[7]. وقارن ابن الأثير بين الخُلُق والخَلْق قائلا: "الخُلُقُ– بِضَمِّ اللَّامِ وسُكونها–: الدِّين والطَّبْع والسَّجِيَّة، وَحَقِيقَتُه أَنَّه لِصُورَةِ الإِنسَانِ الباطِنة، وَهِيَ نَفْسه وَأَوْصَافها وَمَعَانِيها الْمُخْتَصّة

بها بمَنزلة الْخَلْق لِصورته الظَّاهِرة وَأَوْصَافِهَا وَمَعَانِيهَا"[8]. وفي نظرنا أنه لا يوجد فرق واضح جدا بين الطبع الخُلُق، فكلاهما كما عرفنا راسخ في النفس، وكلاهما فُسّر بأنه سجية.

1-3- أصل دلالات بعض ألفاظ الخلُق والطبْع عند ابن جني:

تنبه ابن جني في كتابه الخصائص إلى ظاهرة لغوية دلالية وسمها بـ "تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني"[(9)]، تتمثل في: "أنك تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل منها فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه"[(10)]. وقد وضح ابن جني فكرته هذه من خلال تحليل بعض الكلمات في حقل "الطّبْع والْخُلُق". لكن ابن جني، في الواقع، لم يثبُت على نقطة واحدة تلتقي عندها معاني هذه الكلمات، وسبب ذلك ربما يعود إلى اعتماده على فكرة مجردة يعيد إليها أصول دلالات هذه الألفاظ؛ فنجده في بداية كلامه يطرح فكرة "تثبيت الأمر وإقراره"، ذكر ذلك في تعليقه على معنى خُلق، وطبيعة، وغريزة، وسجيحة، وسرجيجة[(11)]، لكنه ما لبث أن طرح فكرة أخرى، عندما علق على هذه الألفاظ بقوله: "تؤذن بالإلف والملاينة والإصحاب والمتابعة"[(12)]، وفي سعيه لاصطياد الفكرة التي انبثقت منها معاني هذه الألفاظ، عاد في موضع آخر، فقال، إنها كلها تعود إلى "التمرين على الشيء، وتليين القوي؛ ليصحب وينجذب"[(13)].

ومن بين الأمثلة التي أوردها من حقول أخرى التي رآها أنها تعضد فكرته هذه، معاني المفردات: صبي، وطفل، وغلام، وجارية، التي ذكر أنّ معانيها تعود "للين والانجذاب وترك الشدة والاعتياص"[(14)].

ويشير ابن جني إلى خصوصية هذه الظاهرة اللغوية بقوله[(15)]:

فهذا ونحوه من خصائص هذه اللغة الشريفة اللطيفة. وإنما يسمع الناس هذه الألفاظ فتكون الفائدة عندهم منها إنما هي علم معْنيّاتها. فأما كيف، ومن أين، فهو ما نحن عليه. وأحْج به أن يكون عند كثير منهم نيفًا لا يحتاج إليه، وفضلًا غيره أولى منه.

ويؤكد في موضع آخر على قيمة هذا المبحث فيقول[(16)]:

وهذا مذهب في هذه اللغة طريف غريب لطيف. وهو فقهها، وجامع معانيها وضامّ نشرها. وقد هم متغير دفعة أن أنشئ في ذلك كتابًا أتقصَّى فيه أكثرها، والوقت يضيق دونه. ولعله لو خرج لما أقنعه ألف ورقة إلا على اختصار وإيماء. وكان أبوعلي[(17)] -رحمه الله- يستحسن هذا الموضع جدًّا وينبه عليه, ويسر بما يحضره خاطره منه.

ويوضح منهجه في درس هذه الظاهرة والوصول إلى مصدرها الدلالي بقوله: "فالتأتّي والتلطّف في جميع هذه الأشياء وضمها وملاءمة ذات بينها هو "خاص اللغة" وسرها، وطلاوتها الرائقة وجوهرها, فأما حفظها ساذجة وقمشها محطوبة هرجة فنعوذ بالله منه"[18].

ولا شك أن الظاهرة التي تكلم عنها ابن جني ظاهرة حاضرة في حقول كثيرة، وسمة بارزة في معجم العربية. ومأخذنا على هذا العالم الفذ هو إغراقه في التجريد في محاولة منه ليعيد معاني هذه الكلمات إلى فكرة دلالية واحدة؛ لذا لا غرابة أن نجد في عبارته أحيانا نوعا من لملمة الأشتات في مثل رده لألفاظ الخُلُق والطبْع إلى "اللين والانجذاب وترك الشدة والاعتياص" مما يوحي بأنّ أمر رد معاني هذه الألفاظ إلى تصور ذهني مرتكز على واقع في نشاط الإنسان قد اعتاص عليه.

2– مشكلة البحث:

فكرة رد بعض معاني كلمات حقل معجمي معين إلى تصور دلالي التي لامسها ابن جني في خصائصه كما رأينا هي مسألة جديرة بالبحث، وحرية بالتأمل والدرس. صحيح أننا لا نجد صدى واسعا لما تكلم عنه ابن جني حول هذه الظاهرة في كتب اللغويين العرب المتأخرين عن عصره، وربما يعود ذلك إلى أنه أغرق في التجريد وعدم الوضوح والتحديد في بيان ما تؤول إليه معاني هذا الحقل. لذا سنحاول في هذا البحث إعادة الاهتمام بفكرة ابن جني عن "تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني" أي التصورات الذهنية وراء بعض كلمات حقل معجمي معيّن. وسنبذل وسعنا في توضيحها، وربطها بالدراسات الدلالية المعاصرة. وسنقصر دراستنا على ألفاظ "الطبْع والخلُق"، التي يبدو بعد تأمل أصول معانيها أنها ناتجة عن تصورات مفهومية تتعلق بأشياء قوية الحضور في ذهن الإنسان العربي القديم.

3– منهج الدراسة:

قد نجد عندما نُقْدم على دراسة قضية "رد أصول دلالات كلمات حقل معجمي معين إلى تصور فكري" عونا معرفيا ووسيلة منهجية في اللسانيات المعرفية Cognitive linguistics، خاصة في دراسات لاكوف Lakoff وزملائه في قضايا الاستعارات المفهومية conceptual metaphors[19]. هذه النظرية التي علا شأنها في الآونة الأخيرة من خلال دراستها لتفسير الاستعارات التي تشيع في الكلام ولا يتنبه لها أكثر الناس على أنها كلام

مجازي، وذلك لأنها مترسخة في الأذهان ومبنية على تصورات سابقة للتعبيرات وليست ناشئة عن ترف لفظي بياني. يوضح هذه القضية لاكوف Lakoff بقوله[20]:

يعتقد الناس أن الاستعارة خاصية لغوية تنصب على الألفاظ وليس على التفكير أو الأنشطة، ولهذا يظن أغلب الناس أنه بالإمكان الاستغناء عن الاستعارة دون جهد كبير. وعلى العكس من ذلك، فقد انتبهنا إلى أن الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية. إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا، وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا. إن النسق التصوري العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس.

ما يود أصحاب النظرية التصورية للاستعارة إيضاحه هو أن معظم تعبيراتنا مبنية على تصورات سابقة مهيمنة على أفكارنا وسلوكنا، وما يظهر في كلامنا من استعارات إنما هو صدى لتلك التصورات، ومن يتفقد الكلام سيجد أن معظمه استعاري. وقد ذكر مؤلفا الكتاب عددا من الاستعارات التصورية التي توجّه بعض التعبيرات اللغوية اليومية:

الجدال حرب

الوقت نقود

الأفكار أشياء

وينبثق عن هذه الاستعارات التصورية الكبرى عدد من التعبيرات الاستعارية. فلو أخذنا مثالا **(الأفكار أشياء)** لوجدنا عددا من التعبيرات الاستعارية التي تنضوي تحت هذه الفكرة، تُصوّر المتكلم يضع الأفكار (وكأنها أشياء) في كلمات (وكأنها أوعية) ثم يرسلها عبر قناة إلى السامع:

إنه يصعب إيصال تلك الفكرة إليه.

أنا أعطيتك تلك الفكرة.

أسبابك [الخاصة بك] وصلت إلينا.

إنه يصعب علي أن أضع أفكاري في كلمات.

كلماته لا تحمل معنى مهما.[21]

وفي الواقع لم نجد في أدبيات الاستعارات التصورية من حاول أن يطبقها بشكل منهجي على مشكلة رد دلالات الألفاظ المترادفة أو شبه المترادفة إلى تصور معين كما فعل ابن جني، ولكن نجد من يستأنس بمعاني المترادفات لتأييد تصور استعاري معين. يمكن أن

نشير في هذا الصّدد إلى اتكاء غوتلي Goatly على إيراد المترادفات لتأييد وجود نسق الاستعارات التصورية، من ذلك مثلا استحضار ما ذكره غيلين Gaylin عن التصور المركزي للشعور بالضيق[22]:

الصورة المركزية لـ "الشعور بالضيق" feelingupset هي الاضطراب والفوضى. كل مرادفات upset تتضمن معنى الارتباك وتعطيل السيطرةِ المعتادة ونظامِ الحياة ... إننا نميل إلى الشعور بالضيق عندما نحس أن سيطرتنا المعهودة على حياتنا قد أصبحت مهددة.

ويستمر غوتلي Goatly في التدليل على شيوع الاستعارات غير المحصورة في كلمات مفردة وإنما ترتبط بمجموعات تعرف بالاستعارات التصورية، ومن بين الأمثلة التي أشار إليها big "كبير، عظيم" والتي تعني "مهم" و"ناجح" عندما تستخدم مع "أشياء" أو "أحداث"، في نحو: big decision" قرار عظيم"، و big day" يوم عظيم"[23]. وقد لجأ إلى هذا المنوال في مناسبات كثيرة[24].

ألفاظ "الطبْع والخُلق" تنتمي إلى حقل مفهومي، أي غير محسوس، وفي رأينا، أنه قابل للنظر إليه بمعايير نظرية لاكوف وجونسون في الاستعارات التصورية Conceptual Metaphor شرط نقل تطبيق هذه النظرية من معالجة التعبيرات على المستوى التزامني Synchronistic level إلى المستوى التاريخيDiachronic Level، بمعنى أننا ندرس علاقات مفردات حقل معين بالرجوع إلى أصول دلالاتها، ومن ثم محاولة اكتشاف التصورات الاستعارية القديمة التي ربطت بينها والتي كانت متجذرة في ثقافة الإنسان وخبراته التي حفّزت نشوء هذه التصورات. تكلم لاكوف وجونسون عن الاستعارات الوجودية ontological metaphors وهي التي تَعْتبر الأمور المجردة غير المادية كالعواطف والأفكار كأنها أشياء مادية محسوسة. وقد أسهبا في الحديث عن استعارة الوعاء container metaphor وهي استعارة تصورية عالمية.[25]:

خبراتنا مع الأشياء المادية توفر لنا أساسا لمزيد من فهمٍ يتجاوز مجردَ [مسألة استعارات] الاتجاه. إنّ فهم خبراتنا في شكل أشياء ومواد تمكننا أن نختار أجزاء من خبراتنا فنعاملها على أنها كيانات منفصلة أو مواد من نوع موحد. استعارة الوعاء هي الأكثر شيوعا من بين الاستعارات الوجودية. متى ما اعتبرنا خبراتنا كائنات ومواد، نستطيع أن نشير إليها ونصنفها ونقسمها مجموعات، وبهذه الوسائل نعقِلُها.

لاكوف وجونسون لم يعطيا اهتماما كبيرا للاستعارات التي أفرزت ألفاظا وتعبيرات حقل "الخُلق والطبْع"، نحو استعارة: **الخلقُ (أو السجية) قالبٌ**، مثلا.

4- مادة البحث

لقد قمنا بجمع مادة هذه الدراسة من المعاجم العربية القديمة، خاصة لسان العرب، وتاج العروس[26]، واقتصرنا على الكلمات التي ذُكر من بين معانيها "الطبْع"، أو "الخُلق" أو "السجية". وقد جمعنا من هذه الكلمات خمسا وأربعين كلمة، يوضحها التالي:

الجدول رقم (1): ألفاظ الطبْع والخُلُق

الإجرياء	الدُّبّة	السُّنّة	الطّريقة	النّجْر/النّجار
البكلة	الدّمجة	السوس	الطّينة	النّحاس
التوس	السّجيّة	الشرية	العريكة	النّحيتة
الجِبِلّة	السّجيحة	الشكّة	الفحوى	النّحيزة
الجديرة	السُّرجيجة	الشِّمال	الفطرة	النّخيجة
الجَديلة	السُّعوف	الشّيمة	القريحة	النّخيلة
الخشيبة	السّك/السَّكّة	الصّيغة	القشم	النّقيبة
الخليقة	السليعة	الضريبة	اللِّيط	النُّمّي
الخِيم	السّليقة	الطّبْع/الطّبيعة	المعدن	الوتيرة

5- تحليل المادة:

ذكرنا في التمهيد أن ابن جني تعرض لألفاظ "الخلُق والطبْع" في فصل "تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني"، وحاول رد هذه الألفاظ إلى أفكار عامة ومجردة:

1- "تؤذن بالإلف والملاينة والإصحاب والمتابعة".

2- "التمرين على الشيء، وتليين القوي".

وقد اتسمت محاولته هذه، كما ذكرنا، بالتجريد الشديد والعمومية. والمتأمل في ألفاظ "الطبْع والخلُق" يجد أنها تنبثق من خبرات إنسانية واقعية، ولّدت استعارات تصورية. ويمكن للدارس المدقق في هذه المفردات وفي خلفياتها التصورية أن يعيدها إلى ثلاثة حقول رئيسة: (1) حقل صناعة الأشياء كالأواني والتماثيل والنسيج والحبال، و(2) حقل السهولة واللين (3)

وحقل السّيْر والطُّرق. وهناك كلمات أخرى لن نتعرّض لها؛ لأنها لا تمثل نُسُقاً شائعة في توليد كلمات الطّبْع والخُلُق[27].

5-1 حقل المصنوعات:

لقد كان العرب على علم ومعرفة بصناعات مختلفة، فصناعة الحلي، والأواني وأدوات الحرب وغيرها لم تكن غريبة بالنسبة لهم؛ لأنّ بعضهم قد مارسها والبعض الآخر سمع بها أو شاهدها تصنع. وتذكر المصادر التاريخية والأثرية أن الأنباط قد أتقنوا صناعة الحلي الذهبية، وقد كانوا يسبكونها بضرب الذهب الموجود على شكل صفائح فوق جو بارز يكون على شكل قالب معدّ لهذا الشيء[28]. وكذلك عرف العرب الصناعات الفخارية في اليمن والجزيرة العربية وكذلك في بلاد الأنباط[29].

ما نودّ أن نؤكد عليه هنا هو أنّ العربيّ لديه معرفة ما لأشكال متعددة من الصناعات المهمة في حياته التي ربما كان يراها كل يوم. هذه المصنوعات خلقت تصورات فكرية وخيالية مكونةً نماذج شكلية تُقتنص بها الأفكار المتعلقة بأشياء غير حسية، فيعبر عنها في إطار هذه الموجودات المادية. وكان من المصنوعات ما هو خشبي، ومنها ما هو معدني أو فخاري أو غير ذلك. طبيعة معرفة العربي ونشاطاته أمدتنا بأمثلة كثيرة استعملت فيها مفرداتها للتعبير عن معاني "الطبع" و"السجية"، التي يمكن تصنيفها على النحو التالي:

5-1-1 الأواني والأسلحة والتماثيل وغيرها:

النَّحِيتة: الطبيعة التي نُحِتَ عليها الإنسان أي قُطِع، وقال اللحياني: هي الطبيعة والأَصل[30]. وهناك تعبيرات كثيرة نقلها المعجميون إلينا تشير إلى هذا المعنى. يقال: "الكَرَم من نَحْتِه"، أَي من أَصلِه الذي قُطِعَ منه، و"إِنه لكَرِيم الطَّبِيعة والنَّحِيتة والغَرِيزة"، بمعنى واحد، و"الكَرَم من نَحْتِه ونِحاسِه"، وقد "نُحِتَ على الكَرَم وطُبِعَ عليه"[31].

وكل هذه التعبيرات ناتجة عن تصور طبع الإنسان على أنه أمر أصيل كصورته التي نُحِت عليها. والنحت كما ذكرنا من قبل صناعة معروفة تعالَج بها المواد الفخارية، والأحجار، والخشب، لتشكيل هيئاتها وزخارفها وقوالبها. لذا، نجد جذر (نحت) يدور حول معاني قطْع الخشب أو الحجر وتشذيبهما[32]:

النَّحْت: النَّشْر والقَشْر، ونَحَت النجار الخشبةَ ونحوَها نَحْتاً قشرها.

وفي التنزيل العزيز: (وتَنْحِتُونَ من الجبال بيوتاً آمنين)[33]، أي تقطعون.

وقال ابن فارس: "النون والحاء والتاء كلمة تدل على نَجْرِ شيءٍ وتسويتهِ بحديدة"[34].

الخَشِيبة: الطَّبِيعة[35]. وهذا ينسجم مع تصور بداية "صناعة الشيء" التي بيناها عند مناقشة معنى "النحيتة". ويبدو أن التصور المفهومي الذي انبثق عنه هذا التعبير هو بداية "صنع السهام" والقسي وما يصاحبها من نحت وإصلاح. وتوسعوا في هذا المعنى فأطلقوه على بداية صناعة السيوف. لذا نجد المعاجم تذكر مصطلح الخشيبة، وهو الطَّبع الأول للسيف قبل أَن يُصْقل ويُهيّأ؛ وقيل: هو الذي بُدِئَ طَبْعُه[36]. وذكروا أن خشْب السيف يكون بوضع سنان أملس فيُدْلك به ليزيل الشقوق والشعث. وروي عن أَبي حنيفة أنّ الخشْب يكون أيضا للقسي، يقال: "خَشَبَ القَوْسَ يَخْشِبُها خَشْباً عَمِلَها عَمَلَها الأَوّلَ". والخَشِيبُ أيضا: السَّهْمُ حين يُبْرَى البَرْيَ الأَوَّل[37].

النّجْر، والنِّجار: الطبْع والأصل، والنَّجْر والنِّجارُ والنُّجار: الأصل والحسَب، وَمِنْ أَمثالهم فِي الْمُخَلَّطِ: "كلُّ نِجارِ إِبِلٍ نِجارُها" أَي فِيهِ مِنْ كُلِّ لَوْن مِنَ الأَخلاقِ وَلَيْسَ لَهُ رأْي يَثْبُتُ عَلَيْهِ، والنّجر: المَنبِتُ من كلِّ كريمٍ أو لئيمٍ، قال:

كريمُ النَّجرِ من سلفي نِزارٍ

وتقول العرب: إن نِجارها لواحدٌ أي جِنسها وأصلها[38]. وقال علي (رضي الله عنه): "اختَلَفَ النَّجْر وتَشَتَّتَ الأَمْر"، أي اختلف الأصل.

والنَّجْر: شَكْل الإنْسان وهيْئَتُه، أنشد الأخطل:

وَبَيْضاءَ لَا نَجْرُ النَّجاشِيِّ نَجْرُها إِذا الْتَهَبَتْ مِنْهَا القَلائِدُ والنَّحْرُ

وَيُقَالُ: النَّجْرُ اللَّوْنُ؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

نجارُ كلِّ إِبِلٍ نِجارُها، ونارُ إِبْلِ العالَمِينَ نارُها

فُسّر بأنه يصف إبلا شَتَّى، فِيهَا مِنْ كلِّ ضَرْبٍ ولَوْنٍ وسِمةٍ[39].

ويبدو لنا أن معاني الطبع والأصل واللون قد جاءت من فكرة إنشاء شيء أو هيئة بواسطة النجر في الخشب أو الحجر. لذا نجد النَّجْر تعني القَطْع، وعَمَل النَّجّارِ ونَحْته[40].

الخَلِيقة: الطَّبيعة الَّتِي يُخلَق بِهَا الإنسان. وَروى اللِّحْيَانِيّ قولهم: "هَذِهِ خَلِيقتُه الَّتِي خُلق عَلَيْهَا وخُلِقَها"، وَمِنْه قَوْلُ الشاعِرِ:

ومَهْما يَكُنْ عنْدَ امْرىءٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِن خَالَها تخْفَى على الناسِ تُعْلَمِ

والخُلْق والخُلُق: السَّجِيّة.والخِلْقة: الفِطْرة. ويقال: "إنه لكريم الطَّبِيعة والخَلِيقةِ والسَّلِيقةِ" بمعنى واحد[41]. وذكر ابن الأثير من بين معاني الخُلُق: الدِّين والطبْع وَالسَّجِيَّة، وَوضّح الفرق بين الخُلُق (بضم الخاء واللام) والخَلْق (بفتح الخاء وسكون اللام) بقوله: "وحَقِيقَتُه أَنه لِصورة الإنسان الْبَاطِنَة، وَهِيَ نفْسه وأَوصافها وَمَعَانِيهَا المختصة بِها بِمَنْزِلَة الخَلْق لِصُورَتِهِ الظَّاهِرَة وأَوصافها وَمَعَانِيهَا[42].

كذلك نجد من مشتقات هذا الجذر: خلَق الشيء خُلوقاً وخُلوقةً، وخَلُقَ خَلاقةً بمعنى بَلِيَ؛ والأَخْلَق: الأَملس مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وهَضْبة خَلْقاء: مُصمتة مَلْساء لَا نَبَاتَ بِهَا[43].

وهنا تتضح لنا علاقة خليقة وخُلُق بفكرة الخلْق، وابتداء إيجاد الشيء أو صنعه. لذا تدل عبارة خَلق الله الشيء يَخلُقه خلقاً على إحداثة بعد أَن لم يكن. ولكن تواجهنا مشكلات اشتقاقية ودلالية، الأولى، ما علاقة المشتقات: خلَق "أحدث وصنع"، وخلُق (بالكسر والفتح) "بلِي"، والأَخلَق "الأَملس"؟. تفسير هذه العلاقة سيساعدنا في استشفاف التصور المفهومي وراء الخلْق بمعنى "الإيجاد"، والخليقة "الطبيعة". ويبدو لنا أن معنى الجذر خلق في العربية والساميات[44] كان في الأصل يدور حول معنى "الملاسة". لذا نجد الأخلق يعني "الأملس"، ومن فكرة "الملاسة" جاء معنى "بِلى الشيء"، لأن الثوب إذا قدم أصبح أملسَ. ويبدو لنا كذلك أن معنى الخلْق أي "صُنْع الشيء" قد جاء من "جعل الشيء أملس"، وهذا من تصور عمل المواد الفُخارية، أو التماثيل والدّمى التي تعالج بالحك والصقل لتتخذ شكلها النهائي.

الفطرة: قَالَ أَبو الهَيْثَم: الفِطْرَة: الخِلْقة الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا المَوْلُود فِي بَطْنِ أُمِّه، وَبِه فُسّر قولَه تَعَالَى: (فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ)[45]، وفي الكليات" الْفطْرَة: هِيَ الصّفة الَّتِي يَتَّصِف بهَا كل مَوْجُود فِي أول زمَان خلقته"[46].

وفَطَرَ اللَّهُ الْخَلْق يَفْطُرُهم: خَلَقَهُمْ وبدأَهم، وقد جاء هذا المعنى من فكرة الخلق وابتداء صنع الشيء بقطعه[47] وتشكيله. قال الراغب الأصفهاني: "وفَطَرْتُ العجين: إذا عجنته فخبزته من وقته، ومنه: الفِطْرَة. وفَطْر الله الخلق، وهو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مترشّحة لفعل من الأفعال"[48]. وسَيْف فُطَار: عُمِلَ حَدِيثاً ولم يَعْتُقْ. وفطَرَ الشيءَ يَفْطُرُه فَطْراً: شَقَّهُ[49].

واللغات السامية تشير إلى أن المعنى القديم لجذر فطر هو "القطع والشق". لذا نجد الأوغاريتية ptr "شقّ"، والعبرية pātar "أطلق، ترك"< "فصل"، والأكادية patāru" فصل،

فكّ"، والإثيوبية fatarā "شقوق". والمعاني الشائعة لهذا الجذر في الإثيوبية هي "خلق"، و"صاغ"، و"اخترع"، ومنه أُخذ fetratāw "طبيعي"، وmiftār "مكان صناعة الأشياء"، وfetrat "الخلْق" و"الطبيعة" و"الشخصية"[50]. إنّا نميل إلى أن معنى الفطرة، أي "الخلقة التي خلق عليها الإنسان" قد جاء من تصوّر شيء مصنوع في هيئته الأولى، وليس ببعيد أن يكون مصدرها صناعة السيوف، أو التماثيل[51]؛ لأنّا نجد في المعاجم تعبيرات مثل "سَيْف فُطَار"، أي"عُمِل حَدِيثاً ولم يَعْتُقْ"، وهذا يذكرنا بمفردات تتعلق بصناعة السيوف مثل: الطبع "ابتداء صناعة السيف"، وخَشَبَ السيفَ: طَبَعَه[52].

الجِبلَة: طبيعة الشيء وأَصلُ هو مابُنِيَ عليه، وجُبِل الإنسان على هذا: أَيطُبِع عليه، وجُبْلته: خَلْقُه، والجِبِلّة: الخلقة[53]. قال تعالى: (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُم وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ)[54]. قَالَ مُجَاهِد: الْجِبِلَّة هِي الْخَلِيقَة، وَجُبِلَ فُلَان عَلَى كَذَا أَيْ خُلِق[55]. وجَبَل اللهُ الخَلْقَ يَجْبِلُهم ويَجْبُلُهم: خَلَقَهم، وجَبَلَه عَلَى الشَّيْءِ: طَبَعه، وجُبِل الإنسان عَلَى هَذَا الأَمر أَي طُبِع عَلَيْهِ. وجِبْلَة الشَّيْءِ: طبيعتُه وأَصلُه وَمَا بُنِيَ عَلَيْهِ[56].

وإذا التفتنا إلى أخوات العربية من الساميات، نجد معاني جذر gbl في الآرمية تدور حول "عجن" (الدقيق، أو الطين، أو الجبس)، و"طَبع"، و"خلق"[57]، ومن ثمّ نجد في السريانية صيغة gabēltā "المخلوق" و"الخَلِيقة"[58]، وهي الصيغة التي قد تكون موازنة للصيغة العربية الجبيلة في قولهم "فلان مَيْمون العَريكة والجَبِيلة والطَّبِيعة"[59]

ويبدو أن هذه الدلالة ناشئة من فكرة تكوين شيء كالتمثال أو الأواني من الطين أو الجبس؛ وقد اتسع هذا المعنى حتى أصبح يدل على صنع أشياء مادية كالأنسجة وغيرها؛ لذا نراهم يقولون: "ثوب جَيِّد الجِبْلة" أَي الغَزْل والنسج والفَتْل[60].

الطينة: ذكرت المعاجم أنّها تعني "الجِبلّة والخِلقة". و"طانَهُ اللهُ على الخير وطامَه" أَي جَبَله عليه، وأَنشد الأَحمر:

لئن كانت الدُّنْيا له قد تزَيَّنَتْ على الأَرضِ، حتى ضاقَ عنها فَضاؤُها
لقد كانَ حُرّاً يَسْتَحي أَن تَضُمَّه، إلى تلك، نَفْسٌ طِينَ فيها حَياؤُها

ويقال: "لقد طانَني اللهُ على غير طِينَتِك"، أي خلقني بطبيعة غير طبيعتك، و"إنه ليَابِس الطِّينةِ" إذا لم يكن وَطِيئاً سَهْلاً[61].

ويبدو أنّ هذه التعبيرات قد نشأت هي الأخرى عن تصوّر صُنع الأشياء كالأواني، والتماثيل الفخارية من الطين. وقد ذكرت مصادر التاريخ والآثار انتشار هذه الصناعات من الطمي[62]. وعلينا ألاّ ننسى فكرة خلق الله عز وجل آدم من "طين" و"صلصال"، كما جاء في القرآن الكريم (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ)[63]، و(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)[64].

الصيغة: يقال: "هو منْ صِيغَةٍ كَرِيمَة" أَي: من أَصْلٍ كَرِيمٍ[65]. و"صِيغَةُ الأمرِ كَذَا وَكَذَا"، أَيْ هيْأته الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا وصَاغَهَا قائلهُ أَوْ فاعِلهُ[66]. وهُما صَوْغانِ أَي: سَيّانِ[67].

ويعيد ابن فارس: مشتقات (صوغ) إلى أَصْل واحد هو "تَهْيِئَة شَيْءٍ عَلَى مِثَالٍ مُسْتَقِيم"، ومن ذلك قَوْلُهُمْ: صَاغَ الْحَلْيَ يَصُوغُهُ صَوْغًا. وَهَمَا صَوْغَانِ، إِذَا كَانَ كلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى هَيْئَةِ الْآخَرِ[68]، وصاغ الشيء: سبكه، وصاغَه اللهُ صِيغةً حَسَنةً أَي خَلَقَه[69].

والتصور المهيمن وراء هذه التعبيرات لا يختلف عما ذكرناه سابقا، من حضور تصوّرات الحِرف والصناعة في ذهن العربي التي انعكست آثارها في لغته. فصياغة الحلي تتمثل في سبكها عن طريق صب المعدن المصهور في قوالب معينة تناسب كل نوع من الحلي، كالأقراط والخلاخيل والخواتم والقلائد وغيرها[70].

5-1-2 النقود

وبما أنّ الصنع بواسطة احتذاء قالب معين يمكّن من إنتاج أشياء متشابهة في الشكل كالنقود وغيرها؛ لذا تصور العرب طبْع الإنسان وخلُقه شكلا أوليا وليس طارئا أو مكتسبا. إنّ فكرة صناعة شيء وفق قالب أو نموذج محدد كانت حاضرة في أذهان العرب بوضوح؛ تعكس ذلك المفردات اللغوية المتعددة التي تشير إلى "القالب" أو المثال" الذي يحتذى في الصناعة:

1- السِّكَّة: والسِّكَّةُ: حَدِيدَةٌ مَنْقُوشَةٌ يُضْرَب عَلَيْهَا الدَّراهِم، وأطلقوا على الدينار والدرهم سِكّة؛ لأَنّ كلّا منهما طُبع بالحَدِيدَة المُعَلَّمَةِ لَهُ[71].

2- الضَّرْب: الصِّيغة، يقال هذا منضَرْ بفلان، أيمن صيغته؛ لأنَّه إذا صاغَ شيئاً فقد ضربه[72]. والضَّريب: المِثْل، كأنَّهما ضُرِبَا ضَرْباً واحداً وصِيغا صياغةً واحدة. وهذه المشتقات مأخوذة من فكرة: "ضَرَبَ الدِّرْهَمَ، أي طَبَعَه، وَهَذَا دِرْهَمٌ ضَرْبُ الأَمِير. ودرهمٌ ضَرْبٌ"[73].

3- الطَّبْع: المِثال والصِّيغَة، يُقال: اضْرِبْهُ على طَبْعِ هَذَا وعَلى غِرارِه[74]. وَقَالَ الرَّاغِبُ: الطَّبْع: أَنْ يُصَوِّرَ الشيء بصورَةٍ مَا، كطَبْعِ الدَّراهِمِ، وَهُوَ أَعَمُّ من الخَتْمِ وأَخَصُّ من النَّقْشِ[75].

4- السبْك: سَبَكَه يَسبِكُه سَبكاً: أَذابَهُ وأَفْرَغَه فِي القالَب، من الذَّهَبِ والفِضَّةِ وغيرِهما من الذّائب[76].

6- دِرْهم مُفْرَغ: مَصْبُوب في قالب ليس بمضروب، من أفْرَغَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ وغَيْرهمَا منَ الجَوَاهِرِ الذّائِبَةِ، أي صَبَّهَا فِي قالَب[77].

7- المِثال: المقدار، وهو من الشِّبْه، والمثل: ماجُعل مِثالاً، أَي مقداراً لغيره يُحْتذَى به. والمِثال: القالب الذي يقدَّر على مِثْله. ونُقل عن أَبي حنيفة: المِثال: قالب يُدْخَل عَيْن النَصْل في خَرْق في وسطه ثم يُطْرق غِراراه حتى يَنْبَسِط[78].

8- الغِرَار: أَيْضا المِثَال الَّذِي يُضْرَب عَلَيْهِ النَّصْل ليُصْلَح[79].

9- المِداد: المِثَالُ ، يُقَال: جاءَ هذا على مِدَادٍ واحد، أَي على مِثَالٍ واحد[80]، [وربما منه: الأُمْدُودُ: العَادَة[81]].

10- القاطِعُ والمِقْطَعُ: المِثَال الَّذِي يُقْطَعُ بهِ الثَّوْب.

11- الصوغ: يُقَالُ هَذَا صَوْغُ هَذَا، إِذَا كَانَ عَلَى قَدْره، وهُمَا صَوْغَانِ: أَيْ سِيَّان. وَيُقَالُ: صِيغَةُ الأمرِ كَذَا وَكَذَا: أَيْ هيْأَته الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا. وصاغَ الشَّيء: يَصُوغُه صَوْغاً: هَيَأَه على مِثالٍ مُسْتَقِيمٍ وسَبَكَه عليْهِ[82].

وقد عرف العرب النقود منذ عصور قديمة. يذكر جواد علي أن العرب الجنوبيين كانوا يتداولون نقودا مسكوكة من الذهب أو الفضة أو من معادن أخرى كالنحاس، كما عرفوا النقود الأجنبية كالنقود اليونانية والرومانية والحبشية وغيرها.[83] ويذكر أن العرب قد عرفوا أيضا سكّ النقود، وجاء في بعض الأقوال أن أول من ضرب الدينار تُبّع، وأن أول من ضرب الفلوس وأدارها في أيدي الناس نمرود بن كنعان[84]. وقد وُجدت أشكال متعددة من النقود الجنوبية نقشت عليها صور آلهة، أو أسماء ملوك[85]. ويذهب علماء النّميات إلى أنّ الحارث الثالث كان أول ملِك نبطي أمر بضرب النقود، وقد أخذ السّكة من اليونان[86]. ويذكر كذلك جواد علي أن عُمر (رضي الله عنه) أمر بضرب النقود، فضربت سنة ثماني عشرة من الهجرة، وتلاه عثمان، ومعاوية، وابن الزبير[87]. وذكر بعض الباحثين أن صناعة المسكوكات

النبطية كانت تعتمد على عمل حُفر دائرية تصل بينها قنوات يسيل فيها المعدن المذاب، ويبقى فيها إلى أن يُصبح صلبا، ثم تُؤخذ الأقراص فتُوضع بين قالبين يضغطان فيشكّل كلّ واحد منهما وجهًا من القطعة النقدية[88].

والنقود بطبيعة وظيفتها يجب أن تكون على شكل واحد، وتحمل صورة أو نقشا يُنبئ عن مصدرها وأصلها. ومن هنا توطدت فكرة الشكل أو القالب الذي يُعتبر المثال الأول أو الطبيعة الأصلية للشيء. لذا نجد هذا التصور قد أصبح استعارة تصوّرية مهيمنة على فكر العربي، ويمكن توضيح تسلسل هذه الاستعارة على النحو التالي:

الطبْع (الصفات الغريزية) = شيء

الطبع = قوالب مصنوعات

الطبع = أشياء لا تتغير

هذا التصور مكنهم من التعبير عن التكوين النفسي اللاحسي للفرد في إطار خبرات مادية مهمة في حياتهم، هي النقود التي يعرفون جيدا أنها تُصنع على منوال أو قالب لا يتغير؛ قالب يجعلها متشابهة في الشكل والوزن، ومن ثّمّ القيمة. و يبدو لنا أنّه منهنا نشأت معاني "الطبْع" أو "الخُلُق" الملازم للشخص. يؤيد ذلك النسق الواضح للتعبيرات الاستعارية في حقل الطبْع والخلُق:

السُكُّ، السَّكّة: لُؤْمُ الطَّبْعِ. يُقَالُ: هُوَ بسُكِّ طَبْعِه يَفْعَلُ ذَلِكَ[89]، وفلان صَعْبُ السَّكةِ: أي لا يَقِرّ لِنَزَاقَةٍ فيه[90]. يبدو أنّ هذه المعاني قد أُخذت من فكرة "سكّ النقود"؛ لذا نجد السِّكَّة تعني الدينارَ والدرهم المضروبين، سمي كل واحد منهما بذلك لأَنهما طُبعا بالحديدة المُعَلَّمة له، وهذه الحديدة المنقوش عليها هيئة هذه النقود تسمى السِّكّة[91]. لذا نجدهم يقولون: "ضُرب هذا الدرهم في سكة فلان"[92]، يقصدون طُبع على قالب أو هيئة نقود الخليفة أو السلطان فلان.

الطبْع والطَّبِيعة: الخَلِيقة والسَّجيّة التي جُبِلَ عليها الإنسان. وقال الأَزهري: "هو ما طُبِعَ عليه من طِباعِ الإنسان في مأْكَلِه ومَشْرَبِه وسُهولة أَخلاقِه وحُزونَتِها وعُسْرِها ويُسْرِها وشِدّتِه ورَخاوَتِه وبُخْلِه وسَخائه"[93]. والطِّباع: واحد طِباعِ الإنسان، واسم للقالَبِ مثل الغِرار[94]. ويبدو أن هذه المعاني قد جاءت من ابتداء صنعة الشيء على شكل قالب معين. لذا نجد: الطَّبْع يُطلق على ابتداءَ صنْعةِ الشيء، والطَّبْع: المِثال، وطبَع الدّرهم، واللَّبِن،

وغيرهما طبْعاً أي صاغَه. ويُقال: اضْرِبْه على طَبْعِ هذا، وعلى غِرارِه، وصيغَتِه، وهَدْيَتِه، أَي على قَدرِه.[95].

إذن، لفظ الطبع بمعنى "الخليقة والسجية" تولّد عن تصوّر طبع النقود وفْق قالب مُعدّ مسبقا. وقد وضّح هذه العلاقة الراغب الأصفهاني، فقال[96]:

الطبع تصور الشيء بصورة ما كطبع السّكة، وطبْع الدرهم، وهو أعم من الختم وأخص من النقش، والطابع والخاتم: ما يطبع به ويختم، وبه اعتبر الطبع والطبيعة التي هي السجية، فإن ذلك هو نقش النفس بصورة ما من حيث الخلقة أو العادة، وهو فيما ينقش به من جهة الخلقة أغلب، ولذلك قيل: "وتأبى الطباع على الناقل".

الضريبة: من معانيها في المعاجم "الطبيعة والسَّجِيَّة"؛ يقال: هذه ضَرِيبَتُه التي ضُرِبَ عليها وضُرِبَها. وجاء في الحديث: "أَنَّ المُسْلِمَ المُسَدّدَ لَيُدْرِكُ دَرَجةَ الصُّوَّامِ، بحُسنِ ضَرِيبَتِهِ"، فُسّرت ضَرِيبَتِه بسَجِيَّته وطبيعته. ومن ذلك قولهم"فلانٌ كَرِيمُ الضَّرِيبة، ولَئِيم الضَّرِيبةِ"، والضَّرْب الصِّفَة، والصِّنْف من الأَشياءِ[97].

ويبدو أن معنى "الطبيعة" قد جاء أيضا من الفكرة ذاتها التي بني عليها معنى الطبْع والطبيعة، أي من تصوّر الصفات التي جُبِل عليها الإنسان، كأنها نقش في قالب للنقود. لذا نجد تعبيرات مثل: "ضَرَبَ الدِّرْهَمَ يَضْرِبُه ضَرْباً طَبَعَه"، و"هذا دِرْهَمٌ ضَرْبُ الأَمير، ودِرْهَمٌ ضَرْبٌ"[98]. وقد أصاب ابن فارس عندما أعاد هذه المعاني إلى فكرة الصياغة، بقوله: "يُقَال: لِلسَّجِيَّةِ وَالطَّبِيعَةِ: الضَّرِيبَة، كَأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ ضُرِبَ عَلَيْهَا ضَرْبًا وَصِيغَ صِيغَةً"[99]، وهذا ما أكده السيوطي بقوله: "الضريبة: هَكَذَا اعْتَبَارا بِضَرْب الدِّرْهَم"[100].

النُمَّيّ: جاء في اللسان: نُمَّيُّ الرجلِ: نُحاسُه وطَبْعُه[101]، ومن شواهده قول الطّرمّاح:

بِلَا خَدَبٍ وَلَا خَوَرٍ، إِذَا مَا بَدَتْ نُمَّيَّةُ الخُدْبِ النُّفاةِ

وقول أبي وجزة:

وَلَولا غيرُهُ لَكَشَفتُ عَنهُ وَعَن نُمَّيّة الطَبَع اللَّعينِ[102]

وذكر الزبيدي أنّ النُّمَّيّ تعني "الطَّبيعَة" وأيضا"العَيْب"و"صَنْجَة الميزانِ"[103]، وهي معانٍ يمكن ربطها دلاليا بـ "الطبيعة السيئة". ويبدو أن هذه المعاني تعود إلى نوع من النقود المصنوعة من معادن رخيصة هي النُّمَّيّة، وهي كما ذكروا الفَلْس، وهو لفظ معرب من

الرومية[104]، وكانت هذه الدراهم تُصنع من رَصاص أَو نحاس، وكانت متداولة بالحِيرة على عهد النُّعمانِ بن المنذر. قَالَ أَوْس بن حجر:

وقارَفَتْ وَهِي لم تجْرَب، وَبَاعَ لَهَا من الفَصَافِصِ بالنُّمِّيِّ سِفْسِيرُ[105]

وذكر صاحب اللسان:النُّمِّي ّفُلُوْس من الرَّصَاص، واحِدَتها نُمِّيَّةٌ[106].

3-1-5 المواد الأولية للصناعة:

تمثل المواد الأولية للمصنوعات عنصرا مهما من قيمة الأشياء، فرداءتها تنعكس على ما يُصنع منها، وجودتها ترفع من ثمنها وقيمتها. هذه ناحية فكرية تهيمن على ذهن البشر عند تقدير الأشياء وتسعيرها، وهم يواجهون هذه المواقف كثيرا في حياتهم عند معاينة الأشياء التي يريدون شراءها، أو استعمالها؛ ومن ثمّ أصبحت هذه الفكرة ذات حضور قوي عند التفكير في أشياء أخرى غير محسوسة. وبما أن الطبْع والخُلُق هما من الأمور غير المحسوسة التي لها قيم معنوية تسم مزايا الناس وفضائلهم استدعت فكرة المواد الخام التي تمثل قيمة الأشياء ومميزاتها. وقد قوّى هذا الشعور العقلي واللغوي وجود عدد من ألفاظ حقل الطّبْع والخُلُق ذات أصول دلالية تعود إلى حقول النقود والمصنوعات والمنسوجات. لذا نجد من بين ألفاظ الطّبْع والخُلق ما يعود في تصوراته إلى المواد الخام التي تدخل في صناعة النقود والحلي والأواني والمنسوجات. من ذلك:

النّحاس: من أقدم المعادن التي عرفها البشر فصنعوا منه أدواتهم وأوانيهم وتماثيلهم، ويعود ذلك إلى سهولة استخراجه والحصول عليه لأنه كان يمكن العثور عليه قرب سطح الأرض مختلطا بمواد يمكن فصلها عنه بسهولة[107]. وقد عرفت العرب النحاس في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية، في حضرموت وعمان، وقد كان النحاس من المواد الأساسية لصناعة التماثيل والأواني والنقود[108]، وورد النحاس في القرآن الكريم[109]، ووصفه اللغويون بأنه ضَرْب من الصُّفْر والآنية شديدُ الحمرة[110]. إذن، النحاس كان مادة أولية مهمة في تكوين أشياء كثيرة. لذا تسرب هذا الاهتمام الفكري إلى نسيج اللغة، فقالوا: "فلان كريم النِّحاس والنُّحاس"، أي ، الطبيعة والنجار، والأصل[111]، وعلل ابن فارس تسمية الأصل بالنحاس بقوله "لَمَّا كَانَ [النحاس] أَصْلًا لِكَثِيرٍ مِنَ الْجَوَاهِرِ، قِيلَ لِمَبْلَغِ أَصْلِ الشَّيْءِ نُحَاسٌ"[112]، وقد ورد هذا المعنى في شواهد كثيرة، منها قول لبيد:

وكَمْ فِينا، إذا مَا المَحْلُ أَبْدى نِحاسَ القَوْمِ، مِنْ سَمْحٍ هَضُومِ[113]

والعجاج:

صافي النّحاس لم يُوشَّغْ بالكَدَرْ وَلم يخالط عودَه ساسُ النخَرْ[114]

المعدن: قالوا من فكرة خامة الشيء الذي صنع منه: "هُوَ مَعْدِن الْخَيْرِ وَالْكَرَمِ"[115]، وأوضح ابن فارس أنه من قياس مَعْدن الْجَوَاهِرِ[116]. وذكر صاحب اللسان أن المعْدِن "مَكَانُ كُلِّ شَيْءٍ يَكُونُ فِيهِ أَصله ومَبْدَؤه، نَحْو مَعْدِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ والأَشياء"، وَ"فُلَانٌ مَعْدِنٌ لِلْخَيْرِ وَالْكَرَمِ إِذا جُبِل عَلَيْهِمَا"[117]. ويقارن هذا التصور بما ذكرنا من قبل عن معنى النحاس.

الخِيم: الخُلق، وَقيل: سَعَة الخُلق. وَقيل: الأَصْل، فَارسي مُعَّرب[118].

ونقل الزبيدي عن أبي عبيد قوله: الخِيم: السَّجِيَّة والطَّبِيعَة، وَيُقَال: هُوَ كَرِيم الخِيمِ. قَالَ الشاعِر:

ومَنْ يَبْتَدِع مَا لَيْس من خِيمِ نَفْسِه يَدَعْه وَيَغْلِبُه على النَّفْس خِيمُها[119]

وقال آخر:

إِلى ابنِ حَصانٍ، لَمْ تُخَضْرَمْ جدودُه، كثيرِ الثَّنا والخِيم والفَرْعِ والأَصْلِ[120]

واللفظ كما ذكروا معرب عن الفارسية، وقد أكد ذلك ف. عبد الرحيم، ومعناه "الطبيعة والسجية"[121]، وقد ذكر صاحب المعجم الفارسي الكبير من معاني خِيم " الطبْع" و"جُوال من غزل القطن"[122]، وهذه المعاني تربط هذه الكلمة بفكرة المادة الخام للنسيج.

5-1-4 النسيج والحبال

عرف الإنسان القديم الملابس منذ عصور سحيقة، ويعود بها بعض الدارسين إلى العصر البرونزي. وكانت المنسوجات مهمة لإنسان الجزيرة العربية؛ لأنّها ضرورية للباسه وفراشه ودثاره وأقرب الأشياء إلى نفسه، وكانت المنسوجات البسيطة غير المعقدة تُعمل في بعض مناطق بلاد العرب، وقد واكبت لغة العربي اهتمامه بالملابس والحبال، والمطّلع على المادة التي جمعها مؤلفو معاجم اللباس يدرك من الوهلة الأولى ضخامة معجم العربية في هذا الحقل[123]. ما يهمنا طبعا هنا هو علاقة المنسوجات بألفاظ الطبع والسجية؛ هذه علاقة نشأت من اهتمام الإنسان بطبيعة المادة التي نُسج منها لباسه أو من اهتمامه بالطريقة التي نُسج على منوالها، وتبعا لذلك تُعرف جودة ذلك اللباس أو رداءته، وتقدّر على ذلك قيمتة. هذا التصور أصبح مولِّدا للتعبير عن طبْع الإنسان وأصله. لذا نراهم يقولون هو "هُوَ نَسِيجُ وَحْدِهِ"، لمن تميز بخصاله[124]، وقالوا: "هم على مِنْوالٍ وَاحِد" إذا استوت أخلاقهم[125]، إنهم

يتصورون البشر أنواعا من الأنسجة لكلٍّ طبيعة معينة وتركيب خاص، فعبروا بمفردات صناعة النسيج عن طبيعة البشر وسجاياهم.

السُّرْجِيجَة و**السُّرْجوجة**: الخُلُق والطَّبيعة والطَّرِيقة. يُقَال: "الكَرَم مِن سِرْجِيجَتِه"، أَي خُلُقِه، وقالوا: "إِنه لكريمُ السُّرْجُوجة والسِّرجيجة"، أَي كريم الطَّبيعة[126]. ونقل الصّحاح عَن الأَصمعيّ أنه يُقال:"هم على سُرْجُوجَة واحدة، ومَرِن ومَرِس"، أياستوت أَخلاقُهم[127].

وفي نظرنا أن هذه المعاني ناشئة من دلالة سابقة تظهر في معنى الفعل (سرج) الذي ذكروا من معانيه ضفّر، يقال: سرَجت وسرّجت المرأة شعرها، أي ضفرته. ولا يستبعد أن سرْج الدابة مأخوذ من هذا المعنى، ومنه قالوا: "سرَج الكذب يسرجه سرجا"، أي ألّفه، أي كأنه نسجه.

ونجد قريبا من هذه المعاني في السريانية: srag "نسج (الثوب)، وحاكه"، و"ضفّر الشعر"، و"زيّف الكلام". وsargā "سرْج الحصان"[128]. وأورد اللباب التعبير السرياني: *flan sarīg ho ʻalhkn* "فلان سريغ هو عل هكن"، أي "فلان مطبوع على كذا"[129]، وهو تعبير قريب الشبه من معنى التعبير العربي "إنه لكريم السّرجوجة"، أي كريم الطبيعة. ويرى اليسوعي أن سرْج العربية مستعارة من sarīg السريانية[130].

الجديلة: الحال والطَّرِيقَة الَّتِي جُدِل عَلَيْهَا الإنسان. يقال" "ما زال على جَدِيلة واحدة" أَي على حال واحدة وطريقة واحدة، و"القوم على جَدِيلة أَمرهم" أَي على حالهم الأَول.

ونجد الفعل جدل يدل على إحكام فتل الشيء؛ ومن ذلك الجَدِيل: الحَبْل المفتول من أَدم أو شعر يكون في عُنق البعير، ويطلق الجديل كذلك على الوشاح[131]، وهو حلْي للنساء يُنْسَج من أَديم ويُرَصَّع بالجواهر وتَشُدُّه المرأَة بين عاتقيها وكَشْحَيْها[132]؛ ومنه جارية مَجْدُولة الخَلْق، أي حَسَنة الجَدْل. ودِرْع جَدْلاءُ ومَجْدولة: محْكَمة النسج. قال الحطيئة:

فِيهِ الرِّماحُ وفِيهِ كُلُّ سابِغَةٍ جَدْلاءَ مُبهَمَةٍ مِن نَسجِ سلّامِ[133]

يمكننا في ضوء هذا أن القول: بأن دلالة جديلة على "الحال والطريقة" قد جاءت من فكرة فتل الحبال أو نسج أشياء كالدروع وغيرها[134].

الدَّمْجَة، الدجمة: يقال هو على تلك الدَّجْمَةِ والدَّمْجَةِ أَي الطريقة[135]، وعن ابن فارس: "يقال فلان على دَمَجِ فُلانٍ، أي على طريقتِه"[136].

يبدو لنا أن هذه المعاني ذات علاقة بعمل الحبال؛ لأنا نجد في اللسان دمج وأَدْمَجَ الحَبْلَ تفيد معنى"أَجاد فَتْلَه"، ومن ذلك: "أَدْمَجَتِ الماشِطَةُ ضَفَائر المرْأَة ودمَجَتْ": أَدْرَجَتْها ومَلّسَتْها[137].

وقريب من هذا وربما مقلوب عنه: الدِّجْم: الخُلُق. يقال: إنك على دِجْمٍ كريم أَي على خُلُق[138].

وذكر ابن عباد: الدَّجْمُ: النَّجَار، والشَّكْل[139]. والنجار كما عرفنا من قبل "الطبْع والأصل".[140]

إذن، هناك تصور للطبْع والخلُق يتمثل في أنه نوع من طبيعة الحبال؛ لأن أسلوب فتل الحبل، باعتباره من الخطوات الأولى لصنعه، هو ما يحدد في النهاية طبيعته وإحكامه.

السليعة: يقال: "إنه لَكَرِيم السَّلِيعة"، أَي الْخَلِيقَة. وَهُمَا سِلْعانِ وسَلْعانِ أَي مِثلان. و"أَعطاه أَسلاع إِبله"، أَي أَشباهَها.

والسَّلْعُ: الشَّقُّ يَكُونُ فِي الْجِلْدِ، والسَّلْعُ أَيضاً: شَقّ فِي العَقب، والسِّلْعة: مَا تُجر بِهِ[141].

ويبدو لنا في ضوء معاني هذه المشتقات أن سليعة في معنى "الخليقة" قد جاءت من معنى "السِّلع"، أي "الجزء المشقوق"؛ لأن من معاني جذر سلع في العربية وبعض الساميات"الشق"[142]. وسِلْع أيضا يفيد معنى "الشبيه"؛ لذا قالوا: "أعطاه أسلاع إبله"، أي أشباهها. وكأنه مأخوذ من السِّلَع المتشابهة. وقد يكون لهذا علاقة بالمواد التي تُصنع منها الحبال، أو السّلال (لملاحظ العلاقة بين السّلْع والشبه والنسج، قارن: الشَّريج: العُود يُشَقّ مِنْه قَوْسَان، كلُّ وَاحِدَة مِنْهُمَا شَرِيج. والشَّريجة: شيْء يُنسَج من سَعَف النَّخْل، والشَّرْج: المِثْلُ، كالشَّرِيج؛ تَقول: "هذا شَرِيجُ هذا"، أَي مِثْلُه، والشَّرْج: النَّوْع والضَّرْب[143].

السعوف: ذكر المحكم أن السُّعُوف تعني"الطبيعة"، وَيقال: "إِنَّهُ لسَعْف سوء": أَي مَتَاع سوء، أَو عبد سوء. وَقيل: كل شَيْء جاد وَبلغ، من علق أَو دَار أَو مَمْلُوك ملكته، فَهُوَ سَعْف[144].

وذكر التاج أنه يُقَال للضَّرائِبِ [أي الأشباه] سُعُوفٌ، قَالَ: وَلم أسْمَعْ لَهَا بوَاحِد؛ وذكروا أيضا أن السُّعُوف: أَمْتِعَة الْبَيْت، وفُرُشُه[145].

وفي نظرنا أن هذه المشتقات مأخوذة من السَّعَفُ وهو ورَقُ جَرِيدِ النَّخْلِ الَّذِي تُنسج مِنْه أوعية وبسط مختلفة، وقد اتسع المعنى ليشمل أمتعة البيت. ومن هنا أيضا جاء معنى "الطبيعة" لأن طريقة النسج هي التي تحدد جودة الوعاء أو البساط.

الشّكة: يقال: "هذ رجل مختلف الشَّكَّةِ والشِّكَّة"، أي متفاوت الأخلاق، و"دَعْه على شَكِيكَته"، أَي طريقته.

ومشتقات هذا الجذر تتراوح بين معاني: النسج، والتشبيك. لذا نجد:

الشَّكِيكَةُ: سَلَّةُ للفاكِهَةُ.

الشِّكَّةُ ما يلبس من السلاح، وشَكَّ الخَيّاطُ الثَّوْبَ: إذا باعَدَ بينَ الغرزَتَيْنِ.

والشَّكائِكُ الهَوادِجِ: مَا شُكَّ من عِيدانها الَّتِي يُثْتَبُ بِها بَعْضُها فِي بَعْض[146].

ويرى ابن فارس: أن (شكك) أَصْل وَاحِد مُشْتَقّ بَعْضُهُ مِنْ بَعْض، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى التَّدَاخُلِ. وَجعل مِن هذا الْبَابِ الشِّكَّة، وَهُوَ مَا يَلْبَسُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ السِّلَاحِ، يُقَالُ هُوَ شَاكٌّ فِي السِّلَاحِ، وَيرى أنّ السِّلَاح سُمّي شِكَّةً لِأَنَّهُ يُشَكُّ بِهِ، أَوْ لِأَنَّهُ كَأَنَّهُ شُكَّ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ[147]، و"شكّه بالرمح": خرقه وأدخله اللحم، وشك الجلد بالمسرد[148].

وتمدنا الساميات بمعاني مقاربة، فنجد في الأوغاريتية sk سك "عباءة"[149]، وفي العبرية sākāk "ستار"[150] وفي لغة الترقوم sākak "شبك"، و"حبك"[151]، ويمكن رد هذه المعاني إلى معنى "إدخال شيء في شيء آخر" و"تشبيك الأشياء"، ومنها جاء معنى الخياطة والنسج.

ونفهم من هذا أن معنى "الأخلاق" أو "الطريقة" التي يسلكها الفرد متصورةٌ في أصلها على أنها تشكيل نسيج أو سلّة حسب طريقة معينة.

النحيزة: نَحيزة الرجل: طَبيعته، والنُّحازُ والنِّحازُ: الأَصل[152]، وفي الجمهرة: يُقَال: "فلَان من نِحاز فلَان، وَمن نحاسِه": إِذا كَانَ من ضَرْبه وَشبهه، ونحيزة الرجل: طبيعته وغريزته.[153].

دراسة هذه اللفظة في ضوء مشتقات جذر (نحز) تكشف عن علاقتها بصناعة النسيج، حيث نجد النحيزة أيضا تُطلق على سفيفة كالعرَقة يُشدّ بهَا الهودج[154]، وعن أَبي عَمْرو: النَّحِيزَة: نسِيجَة شِبْه الحزام تكون على الفَسَاطِيط والبُيُوت تُنْسَج وَحْدَها، ونَحَزَ النَّسيجَةَ: جَذَبَ الصِّيصَةَ ليُحكِمِ اللُّحْمَة[155].

وفي نظرنا لم يوفق ابن جني في تفسير أصل نحيزة عندما ذكر أنها من نَخَزْت الشيء، أي: دققته، ومنه المنحاز: الهاون؛ لأنه موضوع للدفع به والاعتماد على المدقوق[156]. ونحن نميل إلى رأي ابن فارس في ربط النَّحِيزَةُ في معنى "طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ" بالنسيج عندما ذكر أنها عَلَى مَعْنَى التَّشْبِيهِ بالنَّحَائِز، وهي نَسَائِج كَالْحُزُمِ الْعَرِيضَةِ، تَكُونُ لِلرِّحَالِ، وكأنهم أرادوا بِهَا الْحَال الَّتِي كَأَنَّه نُسِجَ عَلَيْهَا، فَقالوا: هُوَ ضَعِيفُ النَّحِيزَةِ، أَيْ هَذِهِ الْحَالُ مِنْهُ ضَعِيفَة[157].

الغَرِيْزَة: الطبيعةُ والقريحةُ والسَّجِيَّة من خير أَو شر؛ وقال اللحياني: هي الأَصل والطبيعة؛ قال الشاعر:

إنّ الشَّجاعَةَ، في الفَتى، والجُود من كَرَمِ الغَرائزِ[158]

والمعنى المركزي لجذر (غَرَزَ)هو "إدخال شيء في شيء آخر". لذا يقال غرَز الإبْرَةَ في الشيء غَرْزاً وغَرَّزَها: أَدخلها فيه، وكلُّ ما سُمِّرَ في شيء فقد غُرِزَ وغُرِّزَ[159]. ومن مشتقات غرز: الغَرْز، وهو رِكاب الرَّحْلِ من جِلْد مَخْرُوز، وإن كَانَ من حديدٍ أَو خَشَب فَهُوَ رِكاب. قَالَ ابْن الأَعْرابِيّ: الغَرْزُ للناقةِ مثلُ الحِزامِ للفرَس[160].

وبيّنابن فارس علاقة الغريزة"الطَّبيعة" بغرز، بقوله: كأَنَّها شيء غُرِز في الإنسان[161]، ويرى ابن جني أن "الغريزة" هي فعيلة من غرزت, كما قيل لها طبيعة؛ لأن طبع الدرهم ونحوه ضرب من وسمه، وتغريزه بالآلة التي تثبت عليه الصورة[162].

الصبغة: يقال: صبغة الله: دِين الله وفِطْرته، والصِّبغة: الشريعة والخِلقة، وقيل: هي كل ما تُقُرِّبَ به[163].

ويرى ابن فارس: أن (صبغ)، أَصْلٌ وَاحِد، يدلّ على تَلْوِين الشَّيْء بِلَوْن مَا. يقال: صَبَغْتُه أَصْبُغُه، وَيُقَال لِلرُّطَبَةِ: قَدْ صَبَّغَتْ. أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (صِبْغَةَ اللَّهِ[164]) فقد فُسّرت بأنها فطْرَته لِخَلْقِهِ[165].

ورُوي عن مُجَاهِدٌ أنه فسرها بفِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، وعلّق أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاج على تفسره: "قَوْل مُجَاهِدٍ هَذَا يَرْجِع إِلَى الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ الْفِطْرَةَ ابْتِدَاءُ الْخَلْقِ، وَابْتِدَاءُ مَا خُلِقُوا عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ"[166].

وقال صاحب الكليات: إنّ (صبغة الله) هي فطْرَة الله الَّتِي فطر النَّاس عَلَيْهَا فَإِنَّهَا حلية الْإِنْسَان[167].

قال الشاعر:

وَكُلُّ أُنَاسٍ لَهُمْ صِبْغَةٌ وَصِبْغَةُ هَمْدَانَ خَيْرُ الصِّبَغْ
صَبَغْنَا عَلَى ذَاكَ أَبْنَاءَنَا فَأَكْرِمْ بِصِبْغَتِنَا فِي الصِّبَغْ[168]

ولاشك أن معنى هذه الكلمة مأخوذ من صبْغ الأشياء، وخاصة المنسوجات والملابس، وهي حرفة كانت معروفة عند العرب جيدا[169].

5-2 حقل السهولة واللين:

لقد لاحظنا أنّ عددا من ألفاظ "الخلق والطبيعة" قد جاءت من حقل "السهولة، واللين" وما يقاربهما من معاني "السكون والهدوء". ويبدو أن هذه الكلمات كانت في الأصل تُطلق على الخُلق أو الطبيعة الدمثة التي تتسم باللطافة وعدم الغلظة والجفاء، ونجد في مقابل ذلك أنّ صفات "سوء الخلق" قد أُخِذت من معاني "العسر"، و"الضيق"، و"الالتواء"، نحو: عسِر، وشكِس، وشرِس، وكزّ، وشموس، وعَشَوْزَن، أي الصّلْب الشديد، والسيء الخلق، وعَسَق في قولهم "في خُلقه عسَق"، أَي التواء وضيق.[170]، ثمّ ما لبثت دلالة هذه الألفاظ أن توسعت لتدل على "الخُلق والسجية" بشكل عام:

السَّجيَّة: الطبيعة والخُلقُ[171]، وفي الحديث: "كانَ خُلُقُه سَجِيَّة"، أَي طبيعةً من غير تكلف. وهو على سجية حميدة وسجيات وسجايا وهي ما سجا عليه طبعه وثبت[172].

ويبدو لنا أن الدلالة المركزية لجذر (سجو) هي "السكون". يقول ابن فارس: السين والجيم والواو أصلٌ يدلُّ على سكونٍ وإطباق. يقال: سَجَا اللّيل، إذا اظلم وسكَن[173]. لذا فسروا سجا في قوله تعالى: (والضُّحى والليل إذا سجا)؛ سَكَن ودام؛ ويقال "بحرٌ ساجٍ" إذا ركد وأَظلم، وريح سجواء: لينة، وناقة سجواء: تسكن حتى تحلب، وامرأَةٌ سَجْواءُ الطّرْفِ وساجية الطرف، أي ساكِنَته، ومنه سَجَّيْت الميت تسجيَةً إذا غطيته[174].

إذن، يبدو أنّ دلالة سجية على معنى "الخُلق"قد جاء من فكرة "الهدوء والسكون"، وهي حالة مرتبطة بالنفْس الهادئة اللينة الحسنة الخُلُق.

السَّجِيحة: نقل اللسان عن أَبي عُبَيْد قوله: السَّجِيحة: السَّجِيَّة وَالطَّبِيعَة. وأورد عددا من مشتقات سجح التي تدور معانيها حول "السهولة" والاعتدال"[175]، من ذلك:

"خَدٌّ أَسْجَح": سهلٌ طويل، و"خُلُقٌ سَجِيح": لَيِّنٌ سهل، و"الأَسْجَحُ الخَلْق": الْمُعْتَدِلُ الْحَسَن، و"وجهٌ أَسْجَح بَيِّنُ السَّجَحِ"، أَي حَسَنٌ معتدل، و"سُجُح الطريق وسُجْحُه": مَحَجَّتُه، قالوا سميت لسهولتها، وقالوا: "إذا سأَلتَ فأَسْجِحْ"، أَي سَهِّلْ أَلفاظَكَ وارْفُقْ.

ويرى ابن فارس أنّ (سجح) أصل منقاس يدلّ على "استقامة وحسن"[176]، وهذا معنى ليس ببعيد عن معنى "السهولة والاعتدال".

السليقة: ذكر التاج أن السَّلِيقَة تعني الطَّبيعَة والسَّجِيَّة، ونقل عن ابن الأعْرابِي أنّ السَّلِيقَة طبْع الرَّجُلِ، وَعن أَبي زَيْد قولهم: "إنّه لكَرِيم الطبِيعة والسَّلِيقَة"[177].

وعرفها أبو البقاء بأنها "قُوَّة فِي الْإِنْسَان يخْتَار بهَا الفصيح من طرق التراكيب من غير تكلّف"[178]. ويُقال أَيضاً: فُلان يَتَكَلمُ بالسَّلِيقِةِ: مَنْسُوبٌ إِلى السلِيقَة، أَي: بطَبْعِه الَّذِي نَشَأَ عَلَيْهِ[179].

ويلمس المتأمل في مشتقات هذا الجذر وفي العلاقات الدلالية التي تربط بينها أنها تعود إلى فكرة "الملاسة، والسهولة" وعدم الصعوبة والوعورة، ويظهر ذلك في معاني الكلمات والتعبيرات التالية:

سَلَقَ المزادَةَ والأدِيمَ: دَهَنَهما.

سلق شَيْئا بِالْمَاءِ الْحَار: أذهب شعره ووبره.

السِّلق: مسيل الماءَ بينَ الصَّمْدَيْنِ من الأَرْضِ، وَقَالَ الأَصْمَعِي: هُوَ المُسْتَوِي المُطْمَئِنُّ من الأَرْضِ، [بعكس الوَعْر: المكان الحَزْن].

السَّلَق: القاعُ الصَّفصَفُ الأملَس.

الأسالقِ: مَا يَلي لَهواتِ الْفَم من الداخِل.

السَّلِيقة: الذُّرة تُدَقّ وَتُصْلَح وَتَطْبَخ بِاللَّبَن[180] [أي شيء ليّن].

يبدو أن من تصورات العربي للطبْع والخلق الذي يسيّر سلوك الفرد أنه نوع من الأشياء المادية التي قد تتصف باللين والملاسة، أو بالخشونة والوعورة. لذا نجدهم يقولون: "هُوَ خَشِن الجانِبِ وذُو خُشْنَةٍ وخُشونة"، أي صَعْبٌ لَا يطاق، وخاشَنْتُه: خِلَافُ لايَنْته[181]. ومن فكرة السهولة واللين قالوا: "دمِث الأخلاق"، و"ليّن العطف"، و"رقيق الحاشية"[182].

العَرِيكَة: الطبيعة، وفي الحديث في صفته، صلى الله عليه وسلم: "أَصْدَقُ الناس لَهْجَةً وأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً"؛ العريكة: الطبيعة[183]. ويقال: "فلان لَيِّن العَريكة" إذا كان سَلِساً مطاوعاً

منْقاداً، ورجل لَيِّنُ العَرِيكة، أي لَيِّن الخُلُق سَلِسُ هوهومنه، وشديد العريكة إذاكان شديد النفس أَبِيّاً. ويقولون في المعنى نفسه: رَجُل مَيمُون العَرِيكَة والحَرِيكَة والسَّلِيقَة والنَّقِيبَة والنَّقِيمَةِ والنَّخِيجَة والطَّبِيعَة والجَبِيلَة، كُلّ ذَلِك بمَعْنًى واحِد، وَهُوَ النَّفْس، ومِنْه يُقال: رَجُلٌ لَيِّنُ العَرِيكَة، أَي: سَلِس الخُلُق[184].

ويرى بعض اللغويين أنّ إطلاق لفظ عريكة على الخُلق قد جاء من "عَرِيكة الْجمل" التي ذكروا أنها تعني "بقيَّة سنامه"، وَقيل: "السنام كُلّه"، وفسروا ذلك بأَن المُشْتَرِي يعْرك موضعا في السنام، ليعرف سمن البعير وقوته[185].

ويبدو أن أصل هذا التعبير كان "لين العريكة"، وبعد أن شاع واشتُهر تنوسي المضاف (ليّن)،كما تنوسي في قولهم "لين الخلُق"، واكتفوا بالمضاف إليه على سبيل المجاز بالحذف.

اللِّيط: السَّجِيَّة؛ ويُقَال: فلانٌ لَيِّنُ اللِّيط، إذا كَانَ لَيِّنَ المَجَسَّة.

ويبدو أن الليط في الأصل كانت تشير إلى سطح الشيء أو قشرته، لذا نجد: لِيط العود: القشرة التي تحت القشرة العليا، واللِّيطة قشْرة القَصبة والقوسِ والقناة وكلِّ شيء له مَتانة، ولِيط القَوْسِ: أَعْلاها وظَاهِرُهَا الذِي يُدْهَنُ ويُمَرَّن. واللِّيط: الْجِلْد، يُقال: رَجُل لَيِّن اللِّيط، إِذا لاَنَتْ بَشَرَتُه[186].

وهذه كلمة أخرى جاءت من حقل "السهولة واللين"، ويبدو أنها أيضا كانت مخصصةً بالمضاف في قولهم: "ليّن اللِّيط"، تشبيها بنعومة الجلد أو القشرة، ثمّ أسقط المضاف وأصبحت عامة في معنى "السجية".

3-5 حقل الأشياء الجوفية:

العرب تتصور بعض الصفات الخلقية على أنها نابعة من النفس، والنفس في تصورهم شيء داخل الجسد. وهذه الأخلاق في تصورهم كأنها لبّ الأشياء، وعناصرها الصافية. هذا تصوّر نابع من واقعهم ومعرفتهم للأشياء التي يزاولونها كل يوم، وأهم هذه الأشياء مصادر طعامهم ولباسهم. لذا نجد نشوء عدد من ألفاظ الطبع والخلق من هذه التصورات:

النقيبة: هذه من الألفاظ التي ذكرها ابن جني، حيث قال: هي فَعِيلة من نقبت الشيء وهو نحو من الغريزة[187]. وفي اللسان: النَّقِيبة النَّفْس؛ وَقِيلَ: الطَّبيعَة؛ وَقِيلَ: الخَليقة.

والمَنْقَبَةُ: كَرَمُ الفِعَال، وجَمْعُه مَنَاقِب، ويقولون: عليه نِقْبَةُ الكَرَم والسَّرْوِ: أي أثَرُه[188]، و"فِي فلانٍ مَناقب جميلَة"، أَي: أَخْلَاق. وَهُوَ حَسَنُ النقيبةِ، أَي: حَسَن الخليقة[189].

ويبدو أن معنيي "الخليقة" و"النفس" قد جاءا من فكرة شيء مثبت أو مغروز في داخل الإنسان، لا يُعرف إلا بالنقب عنه واستخراجه. وهذا التصور أملاه ما يمارسونهم في معاشهم من استخراج أشياء من الباطن، كاستخراج المخ من العظام، أو الزبدة من اللبن، أو اللب من الثمار، أو الدقيق الصافي من الطحين.

الدَّسيعة: الطبيعةُ والخُلُق.

والفعل دسَع في قولهم: "دسَع البعيرُ بجِرَّته دَسْعاً": أخرجها من كَرِشه وأَلقاها إلى فمه، ودَسَع الرجلُ يَدْسَع دَسْعاً: قاء، ودَسع البحرُ بالعَنْبَر إذا جمعه كالزَّبَد ثم قذفه، وهو من أَجْود الطِّيب[190].

كأنّ دسيعة بمعنى "الطبيعة والخُلُق" قد جاءت من تصور إخراج البعير جرته من كرشه، أو "استخراج شيء من الباطن"، أي أصيل، وهي في هذا من نسق النقيبة.

النخيجة: ذكر اللسان أنّ قولهم: "فُلان ميمون العريكة والنخيجةِ والطبيعة"، بمعنًى واحد[191].

والنَّخْج: أَن تَضَع المرأَة السِّقاءَ على رُكْبَتَيها ثم تَمْخُضه؛ وقيل: النَّخْج أَن تأْخذَ اللبنَ وقد رابَ، فتَصُبّ لبناً حليباً، والنَّخيجة زُبْد رقيق يخرج من السقاء إِذا حُمل على بعير بعدما خرج زُبده الأَوّل فيمخض فيخرج منه زبد رقيق[192].

ويبدو أنّ معنى "الطبيعة" قد أُخذ من فكرة الشيء المستخلص من شيء آخر، وطبعا أوضح صورة للواقع العربي هو استخلاص الزبدة من اللبن لأنها تحتوي على أهم عناصره وهو الدهن.

النّخَيْلة: الطبيعة[193].

ويبدو أنّ هذا المعنى مأخوذ من تصفية الطحين بعد غربلته ونخله. يقال: نَخَلَه يَنْخُله نَخْلاً، وَتَنَخَّلَه، وانْتَخَلَه: صَفّاه وَاخْتَارَه، وكلُّ مَا صُفِّيَ ليُعزَلَ لُبابُه فقد انتُخِلَ وتُنُخِّل[194]. وهذه أيضا تشبه النخيجة إلاّ أنّ النخيجة قد جاءت من استخراج زبدة اللبن، وهذه من استخراج لبّ الطحين، وكلاهما يمثلان عنصرين مهمين من غذاء العربي.

الشّيمة: الخُلُق، والطَّبِيعَةُ[195]. وفسر ابن فارس هذا الاشتقاق بقوله: "سُمِّيَتْ شِيمَة لِأَنَّهَا كَأَنَّهَا مُنْشَامَة فِيهِ دَاخِلَة مُسْتَكِنَّة. وَالِانْشِيَامُ الدُّخُولُ فِي الشَّيْءِ; .. وَالْمَشِيمَةُ: غِشَاءُ الوَلَد، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لأنّ الْوَلَدَ قَدِ انْشَامَ فِيهَا"[196]. وتصوّر خليقة الإنسان وطبيعته على أنها شيء كامن فيه، ليس ببعيدٍ عن التصورات التي تمثلها النخيجة والنخيلة؛ لأنها كلها تمثل شيئا مغروزا في داخل الإنسان، وكل تصرف يقوم به نابع من شيء في داخله، وليس من أمر طارئ عليه من الخارج.

الشِّمال: الطَّبْع، والخُلُق، وجمعها شَمائِلُ. قالَ عَبْدُ يَغُوثُ الْحَارِثِيُّ:

أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ المَلامَةَ نَفْعُها قَلِيلٌ وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا[197]

ويبدو أنّ هذا المعنى مأخوذ من شمِل بمعنى "أحاط"، ومنه الشّمْلة وهو "كساء يؤتزر به"، وقد وعلل الرَّاغِب إطلاق شِمَال على "الخلُق"، لَكَوْنِهِ مُشْتَمِلاً على الإنْسانِ اشْتِمالَ الشِّمالِ على البَدَنِ[198]. وهناك احتمال آخر ينسجم مع معنى "الشيمة" التي ذكرناها آنفا، وذلك بأن نتصور أن "الخلُق" شيئا يشتمل عليه الإنسان، ويحتويه في داخل جسمه وثيابه.

4-5 حقل السيْر والطُّرق:

يرى العربي أنّ اعتياد سلوك طريقة معينة وتكرار ذلك في التصرف في مواجهة الأمور التي تصادفه هو نوع من "الطبْع. ولذلكَ قيل: الْعادَةُ طَبْعٌ ثانٍ[199]. هذا التصور في نظري يرى أن "العادة" في تكرار سلوك معين قد يصبح مع مرور الوقت طبْعا أصيلا في الشخص؛ لذا عبّروا عن السلوك المتكرر الذي أصبح طبْعا بألفاظ تتعلق بالسير والطرق التي يعتاد الإنسان سلوكها في ذهابه وإيابه، ولا غرابة أن نجد ألفاظ الطرق تُطلق على مذهب أو أسلوب ديني أو اجتماعي. لذا نجد مفردات مثل المنهاج، والمذهب، والشِّرعة، والمِلّة تدل على "الطريق"، وكذلك على إتباع منهج فكري أو ديني معيّن. قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا[200]﴾، فالشرعة والمنهاج يطلقان على الطريق وكذلك على إتباع ملة أو شريعة معينة. وقد توسعت دلالات بعض هذه الألفاظ لتدل على "الطّبيعة"، من ذلك:

السُّنَّة: الطبيعة؛ وبه فُسّر قول الأَعشى:

كَرِيمٌ شَمَائِلُه من بَنِي مُعاويةَ الأَكْرَمينَ السُّنَنْ

والسُّنَّةُ: السِّيرَةُ حَسَنَة كانتْ أَو قَبِيحَة، وقالَ الرَّاغب: سُنَّةُ النبيِّ: طَرِيقَتُه الَّتِي كانَ يَتحرَّاها[201].

وقالَ شَمِر: "السُّنَّة فِي الأَصْل سُنَّة الطَّرِيق، وَهُوَ طَرِيق سَنَّه أَوائِل الناس فصار مَسْلَكاً لمَنْ بعْدهم". وعلاقة "الطبيعة" و"السيرة" بالسنة "الطريق" جاءت من تصور سلوك الإنسان الذي يتّبع طريقا واحدا لا يتغير، حتى صار كالطبْع فيه، والملاحظ أن "السيرة" أيضا قد جاءت من التصوّر نفسه، فهي مشتقة من السّير، وكذلك المذهب (من ذهب) وهو أيضا سلوك ومعتقد يتّبع طريقة معيّنة. ولفظ سُنة مشتق من سنّ "حدّ وشحذ" وقد أُطلق لفظ سُنة على الطريق؛ لأنه يُسنّ ويشقّ بتأثير السير عليه.

الطريقة: من الكلمات التي عدّها ابن جني من مفردات "الطبْع والسجية"[202]، وبيّن صاحب الجمهرة أنّ قولهم: "فلان حسن الطَّرِيقَة"، تعني حسن الْمَذْهَب والسَّجِيَّة[203]، وفي التهذيب: "فلان حسن الطريقة"، أي حسن الخليقة[204]. وأورد اللسان من معانيها: السِّيرة، والمذْهب؛ والحال. يُقَال: مَا زَالَ فُلَانٌ عَلَى طَرِيقة وَاحِدَةٍ أَي عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَة[205]، وقريب من هذا الطُّرْقَة التي من معانيها "العادَة"؛ يُقال: مازالَ ذَلِك طُرْقَتك، أَي: دأبَك.

ويبدو أن هذه المعاني ناشئة من فكرة "الطَّرِيق"، وهو السبيل الذي يسلكه الإنسان إلى غايته، وهذا استدعى معنى "العادة"؛ لأنّه لا يكون طريقا إلاّ إذا اعتاد الناس السير عليه فوضحت معالمه في الأرض. أمّا معنى "الطبع، والسجية" الذي تفيده كلمة (الطريقة) فهو ناشئ من معنى "العادة"، وقد أشرنا آنفا في مقدمة هذا الموضوع إلى أنّ العرب تقول: "الْعادَةُ طَبْعٌ ثانٍ".

الدُّبّة: ذكر اللسان من معاني الدُّبّة الحال والسجية والطريقة، يقال: "دَعْني ودُبَّتي" أَي دَعني وطَرِيقَتي وسَجِيَّتي. ونُقل عن ابن عباس، رضي اللّه عنهما أنه قال: "اتَّبعوا دُبَّة قُرَيش، ولا تُفارِقوا الجماعة"، أي: طَّريقتها ومذْهَبها[206]. والدّبّة: الطريق. قال الشاعر:

طَها هُذْرُبَانٌ قَلَّ تغميضُ عَيْنِهِ، عَلَى دُبّة، مِثْلِ الخَنِيف المُرَعْبَل[207]

ويبدو أن الدُبّة في الأصل من الفعل دبّ المحاكي لوقع الأقدام على الأرض. واشتُقّ من ذلك الطريق؛ لأنه "يُدبّ عليه"، أي يُمشى عليه.

6- الخاتمة والنتائج:

يرى أصحاب النظرية الإدراكية اللسانية Cognitive Linguistics أن الاستعارات التصورية أصيلة في اللغة، وليست مجرد حلية بيانية، ومن تفقد كلام الناس العادي وجد أنّ معظم تعبيراتهم فيه مجازية، معتمدة على تفكير استعاري مهيمن على فكر أهل اللغة. انطلاقا

من هذه الفكرة، قمنا ببحث مفردات "الطبْع والخلُق"، وأخضعناها للتحليل الدلالي باحثين عن أصولها المعجمية. وقد بينت نتائج هذه الدراسة أن فكرة "الطبْع والخلُق" –التي تتعلق بناحية نفسية لاحسية– قد عُبّر عنها بمفردات كانت في الأصل لأشياء مادية، والأغلب صناعية. وقد أظهر التحليل أن هناك أنساقا تعبيرية واضحة أملتها تصورات نابعة من الواقع المادي المعاش للإنسان العربي، يمكن نسبتها إلى حقول: (1) المصنوعات بما في ذلك (أ) الأواني والتماثيل والأسلحة، و(ب) النقود، و(ج) المواد الأولية للصناعة، و(د) النسيج والحبال، و(2) السهولة واللين، و(3) الأشياء الجوفية، و(4) السير والطّرق، كما يبيّنها الجدول (2) التالي:

حقل المصنوعات				**حقل السهولة واللين**	**حقل الأشياء الجوفية**	**حقل السير والطرق**
الأواني والأسلحة	النقود	المواد الأولية	النسيج والحبال			
النّحيتة	السّك،السَّكّة	النّحاس	السُّرجيجة	السّجيّة	النّقيبة	السُّنّة
الخشيبة	الطّبْع،الطّبيعة	المعدن	الجَديلة	السّجيحة	الدسيعة	الطّريقة
النّجْر، النّجار	الضريبة	الخِيم	الدّمجة، الدّجمة	السّليقة	النّخيجة	الدُّبّة
الخليقة	النُّمّي		السليعة	العريكة	النّخيلة	
الفطرة			السُّعوف	اللِّيط	الشّيمة	
الجِبِلّة			الشكّة		الشِّمال	
الطّينة			النّحيزة			
الصّيغة						

نلاحظ في هذا الجدول أن حقل المصنوعات هو أكثر الحقول المعجمية تزويدا بالمفردات لحقل "الطبْع والخُلُق"، فقد أمدّه بتسع عشرة كلمة، يليه حقل"الأشياء الجوفية" الذي زوّده بست كلمات، ثم حقل "السهولة واللين" الذي أمدّه بخمس كلمات؛ وقد زوّده حقل "السير والطرق" بثلاث كلمات. هذه الأرقام، في الواقع،تشير إلى أنساق واضحة من الاستعارات في حقل الطّبْع والخُلُق. إنها تنبئ عن اتجاه فكري قوي ناتج عن حضور مؤثر لهذه المجالات وخاصة عند التفكير في أصل طبائع الإنسان وأخلاقه باعتبارها جزءا من طبيعته الأولى.

الهوامش:

1- الجرجاني، محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، القاهرة: دار الفضيلة، 2004م، ص 119.

2- التهانوي، محمد، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحرج وآخرون، بيروت: مكتبة لبنان، ج2، ص 1127.

3- لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، بيروت: منشورات عويدات، 2001م، 1ج، ص 147.

4- الشريف الجرجاني، 89.

5- ابن عاشور، الطاهر محمد، تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م، ج 19، ص 171.

6- ابن عاشور، 171/19.

7- ابن عاشور، 171/19

8- ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، 1979، ج 2، ص 70.

9- ابن جني، عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت: عالم الكتب، 1983م، ج 2، ص 113.

10- ابن جني، 113/2.

11- راجع ابن جني، ج 2، ص 113–116.

12- انظر ابن جني، ج 2، ص 116.

13- ابن جني، ج 2، ص 117.

14- ابن جني، 118/2.

15- ابن جني، 121/2.

16- ابن جني، 133/2.

17- يعني بذلك أستاذه أبا علي الفارسي.

18- ابن جني، 125/2.

19- انظر:

Lakoff, George and Mark Johnson, *Metaphors We live by*, Chicago: University of Chicago Press, 1980.

20- لايكوف، جورج، ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا لها، ترجمة: عبدالمجيد جحفة، المغرب: دار توبوقال للنشر، 2009، ص 21.

21-Lakoff& Johnson, p. 10-11.

22- See Goatly, Andrew, Washing the Brain Metaphor and Hidden Ideology, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins, 2007, p. 206.

23-Goatly, p. 35.

24- انظر الصفحات 36–40 من الكتاب نفسه.

25-Lakoff& Johnson, p. 25.

26- ستُذكر هذه المعاجم عند توثيق هذه الكلمات في قسم الدراسة، وقد أفدنا كثيرا من قائمة ابن سيده (المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، (ب.ت)، سفر 2، ص 148–150).

27- الكلمات التي لم تستطع الدراسة ردّها إلى أنساق واضحة هي: الإجْرِياء، السُّوس، التُّوس، الشَّرِيّة، الفَحْوى، الجديرة، القَرِيحة، القِشْم، الوتيرة.

28- الضلاعين، مروان، "الإنتاج الصناعي في مملكة الأنباط"، مجلة التمدن، 4 (2009)، ص 202.

29- راجع عامر، جمال سليمان، "الحرف والصناعات اليدوية فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام"، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق، ص 157؛ والضلاعين، ص 146.

30- ابن منظور، لسان العرب، تصحيح: أمين عبد الوهاب وأمين العبيدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2 ، 1997م، (نحت).

31- راجع: ابن منظور، والزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، الكويت: التراث العربي، 1965–2001م، (نحت).

32- راجع ابن منظور، (نحت).

33– سورة الأعراف: 74.

– ابن فارس، أحمد، معجم المقاييس في اللغة، بيروت: دار الفكر، 1994م، ص 34.1018

35– ابن منظور، (خشب).

36- راجع هذه المشتقات في ابن منظور، (خشب)

37- راجع هذه المعاني في ابن منظور، والزبيدي (خشب).

38- الخليل ابن أحمد، كتاب العين، تحقيق وترتيب على حروف المعجم: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م، (نجر)

39- راجع: ابن منظور (نجر).

40- انظر مشتقات (نجر في ابن منظور، والزبيدي (نجر)).

41- ابن منظور، (خلق)

42- ابن الأثير، ج2، ص 70.

43 – انظر ابن منظور، (خلق).

44- قارن: العبريةḥlq حلق (= العربية خلق) "جعل الشيء أملس".

Koehler-Baumgartner, *Lexicon in VeterisTestamentiLibros*, Brill, Leiden, 1985, p. 305.

والأوغاريتية ḥlq "فنِي"

del OlmoLete, Gregorio and Joaquín, A dictionary of the Ugaritic language in the alphabetic tradition, p. 393.

والأكادية ḫalāqu خلاقو "دُمّر، اختفى"

Black, Jeremy &others, *A Concise Dictionary of Akkadian*, Harrassowitz-Verlag, Wiesbaden, 2000, p. 101.

والإثيوبية ḫalāqa " بلي، استهلك"

Leslau, Wolf, *Comparative Dictionary of Ge'ez*, Wiesbaden: Harrassowitz, 1991, p. 261.

45- انظر الزبيدي، (فطر)، والآية في سورة الروم: 30.

46- الكفوي، أبو البقاء، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998، ص 697.

47- انظر ابن منظور، (فطر).

48- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان داوودي، دمشق: دار القلم، 1997م، ص 640.

49- راجع ابن منظور، (فطر).

50– انظر التحليل التأثيلي لهذا الجذر في:Leslau, p. 172.

51– قارن في الإثيوبية: faṭarā فطرا التي تفيد معاني متعددة منها: "الاختراع"، و"التمثال" (Lesau, p. 172)

52– راجع هذه المفردات والتعبيرات في ابن منظور حسب موادها.

53– ابن منظور (جبل).

54– سورة الشعراء: 184.

55– القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2006م، ج 16، ص 73.

56– انظر هذه المشتقات في ابن منظور، والزبيدي (جبل).

57- انظر:

Jastrow,Marcus, *a dictionary of the targumim the talmudbavli and yerushalmi and the midrashic literature*, London: Luzac& Co., 1903, p.206, 207; Sokoloff, Mechae , *A Dictionary of Jewish Palestinian Aramaic*, Bar Ilan University Press, Ramat-Gan, 1992. p. 119.

-58 Smith, J. Payne. *A Compendious Syriac Dictionary*, The Clarendon Press, Oxford, 1903, p. 59.

59- راجع اللسان، (جبل).

60- ابن منظور (جبل)

61- راجع هذه التعبيرات في ابن منظور، والزبيدي (طين)

62- انظر عن صناعة الفخار: عامر، ص 134.

63– سورة المؤمنون، 12.

64– سورة الحجر، 28.

65– انظر الزبيدي (صوغ)، وجار الله الزمخشري، أساس البلاغة، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1992م، (صوغ).

66– انظر ابن الأثير، 67/3.

67– انظر الزبيدي (صوغ)

68– راجع ابن فارس، ص 581.

69- راجع ابن منظور، (صوغ).

70- عامر، ص 36.

71- الزبيدي (سكك)، ولذا جاء في الحديث: أَنّه نَهي عَن كَسرِ "سِكَّةِ المُسلِمِينَ الجائِزَةِ بينَهُم إلاّ مِنْ بَأْسٍ". أَرادَ بهَا الدِّرْهَمَ والدِّينارَ المَضْرُوبَيْنِ. راجع الزبيدي (سكك)، وابن الأثير، 89/1.

72- ابن فارس، ص 611.

73- الزبيدي، (ضرب).

74- الزبيدي (طبع)

75- الزبيدي (طبع).

76- الزبيدي، (سبك)

77- ابن منظور، (فرغ)

78- ابن منظور، (مثل)

79- الزبيدي، (غرر)

80- الزبيدي، (مدد)

81- راجع الزبيدي (مدد)

82- راجع ابن منظور (صوغ).

83- راجع عن النقود وسكها في عصور العرب التاريخ العربي القديم: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، [د.م]، [د.ن]، 1993، ج 7، ص 387 وما بعدها.

84- انظر جواد علي، ج 7، ص 489-490.

85- انظر جواد علي، ج 7، ص 490-491.

86-جواد علي، ج 7، ص 493.

87- انظر جواد علي، ج 7، ص 497. وقيل أن أول من ضرب النقود مصعب بن الزبير سنة 70 من الهجرة (انظر: الفراء، أبو يعلى، الأحكام السلطانية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، الكويت: مكتبة دار ابن قتيبة، 1989، ص 189).

88- انظر، الضلاعين، (عدد 4،2009) ص 219.

89- ابن منظور، (سكك).

90– الزمخشري، (سكك).
91– راجع هذه المشتقات في ابن منظور، (سكك).
92– الزمخشري، (سكك)
93– ابن منظور، (طبع).
94– راجع ابن منظور (طبع)
95– راجع ابن منظور، (طبع)
96– الراغب الأصفهاني، 515.
97– راجع هذه المشتقات في ابن منظور، والزبيدي (ضرب)، وتفسير الحديث في ابن الأثير، ج 3، ص 80.
98– راجع هذه المشتقات في ابن منظور، والزبيدي (ضرب).
99– ابن فارس، ص 612.
100– السيوطي، عبد الرحمن، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، القاهرة: مكتبة الآداب، 2004، ص 198.
101– ابن منظور (نمم)
102- ابن منظور (نمم).
103- قَالَ الْوَزِير المغْرِبِي: أَرَادَ بالنُّمِّيِّ هُنَا العيبَ، وَأَصله: الرَّصَاص، تجعَلُهُ فِي الذَّهَب، بمنزلة النُّحاس فِي الفِضَّة. انظر الزبيدي (نمم).
104- انظر ابن منظور (نمم). أصله في اللاتينية nummus "قطعة نقد معدنية" و"الفلوس"، ومنه السريانية نومّين. (انظر: أبو منصور الجواليقي، المعرب، تحقيق: ف. عبد الرحيم، دمشق: دار القلم، 1990، ص 603، وحاشية 660،واليسوعي، رفائيل، غرائب اللغة العربية، بيروت: دار المشرق، 1996، 271).
105- الزبيدي (نمم)
106- ابن منظور، (نمم).
107- انظر عامر، ص 26.
108- انظر: البريهي، إبراهيم، الحرف والصناعات في نقوش المسند، الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، 2000م، ص 282، 287؛ وعامر، ص 12، 158–164، 168.

109- بلفظ نحاس في سورة: الرحمن: 35، وبلفظ قِطْر في سور: إبراهيم: 50، والكهف: 96، وسبأ: 12.

110- ابن منظور، (نحس).

111- راجع ابن منظور، والزبيدي (نحس).

112- ابن فارس، ص 1016.

113- البيت في ابن منظور (نحس).

114- راجع ابن منظور، (سوس).

115– انظر ابن فارس، ص745.

116– ابن فارس، ص 745.

117– ابن منظور (عدن).

118– ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: أحمد عبد الحميد الهنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000، ج 5، ص 272.

119– الزبيدي، (خيم)

120– البيت في ابن منظور (خضرم)

121– الجواليقي، حاشية، ص 284.

122– الدسوقي، إبراهيم، المعجم الفارسي الكبير، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1992، ج 1، ص 1111.

123– راجع عن الملابس: جواد علي، ج 7، ص 594، ودوزي، رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، القاهرة: الدار العربية للمطبوعات، 2012، ويحيى الجبوري، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1989، وجمال عامر، ج 211–227، ورجب إبراهيم، عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2002.

124– انظر ابن فارس، ص 1026.

125– راجع: الزبيدي (نول)، والمنوال: الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب.

126– راجع الزبيدي (سرج).

127– الجوهري، إسماعيل، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، 1984، (سرج).

128 – القرداحي، جبرائيل، اللباب: كتاب في اللغة الآرامية السريانية الكلدانية، المطبعة الكاثوليكية، 1891م، ج 2، ص 29؛ وانظر أيضا: Smith, p 389.

129– القرداحي، اللباب، ج 2، ص 226.

130- اليسوعي، ص 186.

131- راجع ابن منظور، (جدل)

132- راجع ابن منظور (وشح)

133- راجع الزبيدي (جدل)

134- قارن الجذر السامي gdl: في الآرامية: gdl "فتل"، "ضفر"، والأكادية gidlu "حبل". راجع هذه المفردات في:

Klein, Ernest, *A Comprehensive Etymological Dictionary of the Hebrew Language for Readers of English*, CARTA, Jerusalem, 1987, p. 92.

135- ابن منظور (دمج).

136- ابن فارس، ص 364.

137- الزبيدي (دمج)

138- راجع ابن منظور (دجم).

139- الصاحب ابن عباد، إسماعيل، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، بيروت: علم الكتب، 1994، ج 7، ص 56.

140- انظر ابن منظور (نجر).

141- راجع هذه المشتقات في ابن منظور (سلع).

142– قارن العبرية sela‘ سِلَع "فلقة" "شظية"، "قشرة" ومن ذلك جاء "وحدة وزن"؛ والآرامية sela‘ في:

Gesenius, William, Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, trans. Edward Robinson, Oxford: Oxford University press, 1930, 700; Klein, p. 448.

143- انظر الزبيدي (شرج)

144- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج 1، ص 499.

145- الزبيدي، (سعف).

146- راجع هذه المشتقات في الزبيدي (شكك).

147- ابن فارس، ص 520.

148- الزمخشري، (شكك).

149- Del Olmo Lete & Joaquín, p. 756.

150 - Gesenius, p. 697.

151- Jastrow, Marcus,1903, *a dictionary of the targumim the talmudbavli and yerushalmi and the midrashic literature*, London: Luzac& Co. , p.990.

152- ابن منظور (نحز).

153- بن دريد، أبو بكر محمد، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، 1987، ج 1، ص 530.

154- ابن دريد، ج 1، ص 530.

155- ابن منظور، (نحز).

156- ابن جني، ج 2، ص 114.

157- ابن فارس، ص 1016.

158- انظر ابن منظور (غرز).

159- انظر ابن منظور (غرز)

160- الزبيدي (غرز).

161- ابن فارس، ص845.

162- ابن جني، ج 2، ص 114.

163- ابن منظور، (صبغ)

164- البقرة : 138.

165- ابن فارس، ص 585.

166- القرطبي، ج 2، ص 421.

167- أبو البقاء، ص 566.

168- الشعر مذكور في تفسير القرطبي، ج 2، ص 421.

169- راجع عن حرفة الصباغة: جواد علي، ج 7، ص 617.

170- راجع: ابن سيده، المخصص، سفر3، ص 7–9.

171- ابن منظور، (سجو).

172- ابن منظور (سج)، وابن الأثير، ج2، ص 346.

173-ابن فارس، ص 507.

174- راجع هذه المشتقات في ابن منظور (سجا). وتفسير سجا في القرطبي، ج 22، ص 336–337.

175- راجع ابن منظور (سجج).

176- ابن فارس، ص 505.

177- الزبيدي (سلق).

178- الكفوي، ص 585.

179- الزبيدي (سلق).

180- راجع هذه المشتقات في ابن منظور والزبيدي (سلق).

181- انظر هذه التعبيرات في الزبيدي (خشن)

182- راجع ألفاظ "سهولة الخلق ودماثته" في اليازجي، إبراهيم، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، مطبعة المعارف، القاهرة، 1904، ج 1، ص 94.

183- ذكره ابن منظور في (عرك)، وهو مذكور في ابن الأثير، ج 3، ص 222.

184- راجع هذه المشتقات في ابن منظور (عرك).

185- ابن فارس، ص 763، وابن سيده، المحكم، ج 1، ص 271.

186- انظر ابن منظور (ليط).

187- ابن جني، ج 2، ص 114.

188- انظر ابن منظور، (نقب).

189- الأزهري، تهذيب اللغة ..

190- راجع مشتقات (دسع) في ابن منظور، والزبيدي، (دسع)

191- ابن منظور (نخج).

192- انظر ابن منظور (نخج)، والزبيدي (نخج).

193- الزبيدي، (نخل).

194- انظر الزبيدي (نخل).

195- ابن منظور (شيم).

196- ابن فارس، ص 545.

197- راجع الزبيدي (شمل).

198- انظر الزبيدي (شمل)، وكذلك الراغب الأصفهاني، ص 464.

199- انظر الزبيدي (ضلل).

200- المائدة: 48.

201- ابن منظور (سنن)، والراغب الأصفهاني، ص 428.

202- ابن جني، ج 2، ص 115.

203- ابن دريد، ج 2، ص 756.

204- الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001، ج 9، ص 10.

205- ابن منظور، (طرق).

206- راجع ابن منظور (دبب).

207- الزبيدي، (دبب).